المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:10، العدد:01 (2026)، ص375-394

انتفاضة 8 ماي 1945 في خراطة من خلال تقرير خاص وسري: " Émeute de Kerrata, le 9 mai 1945 " دراسة تاريخية نقدية للتقرير الأمني الاستعماري وتبرير القمع

The May 8, 1945 Uprising in Kherrata Through a Secret Report: " Émeute de Kerrata, May 9, 1945" A Critical Historical Study of the Colonial Security Report

سفيان لوصيف
جامعة سطيف 02 (الجزائر)
S.loucif@univ-setif2.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2026/02/09
تاريخ القبول:
2026/05/17

الكلمات المفتاحية:
- ✓ خراطة
- ✓ مجازر 8 ماي 1945
- ✓ تقرير أمني سري
- ✓ الحركة الوطنية الجزائرية

الملخص:

يتناول هذا المقال تقريرا أمنيا سريا أعدّته الإدارة الاستعمارية الفرنسية حول أحداث خراطة يومي 8 و9 ماي 1945، باعتبارها إحدى محطات الانتفاضة، ويقدّم التقرير وجهة نظر الاستعمارية للأحداث من منظور أمني وإداري، تركّز على تسلسل الوقائع وأسباب الانتفاضة كما تراها السلطات الاستعمارية والإجراءات العسكرية والأمنية المتخذة، إضافة إلى حصيلة الخسائر البشرية والمادية، مع استخلاصات تتعلق بتداعيات الأحداث. ينسب التقرير اندلاع الأحداث أساسا إلى نشاط الحركة الوطنية الجزائرية، ولا سيما حركة أحباب البيان والحرية، مقللا من شأن العوامل الاجتماعية والاقتصادية، ورافضا اعتبار المجاعة أو الضيق المعيشي سببا مباشرا للانتفاضة، كما يعكس هاجس الإدارة الاستعمارية من التأثيرات الخارجية و القومية العربية، ويبرز منطق الشك والاتهام الذي طبع قراءتها للأحداث، ويعرض التقرير بالتفصيل الهجوم على خراطة، وسير المواجهات، وأعمال النهب والحرق، وردّ فعل القوات الاستعمارية، وصولا إلى عمليات التمشيط العسكري وإخضاع الدواوير المجاورة مع إبراز خسائر الأوروبيين، مقابل تقليل واضح من حجم القمع المسلّط على الأهالي.

Article info

Received:
09/02/2026
Accepted:
17/05/2026

Key words:
- ✓ Kherrata
- ✓ May 8, 1945 Massacres
- ✓ Secret Security Report
- ✓ Colonial Repression

Abstract:

This study analyzes a secret French colonial security report on the events of Kherrata on 9 May 1945, a major episode of the May 1945 uprising in northern Constantine. Written immediately after the events, the document reflects a security-centered colonial perspective focused on restoring order and protecting European settlers. The report details the outbreak of violence and the military response, attributing the uprising mainly to Algerian nationalist movements, particularly the Friends of the Manifesto and Liberty, while minimizing social and economic factors. It also reveals colonial fears of foreign influence and Arab nationalism. A critical reading exposes its biased and justificatory nature, emphasizing European losses while largely ignoring the systematic colonial repression that followed. Its value lies in revealing colonial discourse and mechanisms of domination when read alongside Algerian testimonies.

مقدمة

يندرج هذا التقرير ضمن التقارير الأمنية السرية التي أعدّتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية عقب مجازر 8 ماي 1945، ويحمل عنوان مباشرا هو "**أحداث خراطة 9 ماي 1945**"، بما يحدّد بدقة مجاله الزمني والمكاني، وهو يمثّل شهادة إدارية وأمنية حول الوقائع التي شهدتها مدينة خراطة ومحيطها، وتكمن أهمية هذه الوثيقة في كونها مصدرا أرشيفيا يكشف، من جهة تصوّر الإدارة الاستعمارية للأحداث وأسبابها، ومن جهة أخرى آليات التبرير الأمني والقمعي التي صاحبت التعامل مع انتفاضة 8 ماي 1945.

ومن خلال صفحاته الست يعكس التقرير منطق الكتابة الأمنية الاستعمارية، حيث تقدَم الأحداث من زاوية الحفاظ على النظام العام وحماية السكان الأوروبيين، مع التركيز على سير العمليات العسكرية، والتدابير الوقائية، وأعمال القمع، وحصيلة الخسائر البشرية والمادية، إضافة إلى استخلاصات ختامية تتعلّق بتداعيات الأحداث على العلاقات بين الأهالي والأوروبيين، وبضرورة استمرار الوجود العسكري لضمان السيطرة الأمنية.

تتمثل إشكالية هذا المقال في كشف التناقض الجذري بين السردية الأمنية الاستعمارية والحقيقة التاريخية الميدانية، فمن خلال تحليل التقرير الأمني السري الفرنسي الصادر عن الشرطة القضائية ببجاية حول أحداث خراطة في ماي 1945، تبرز تساؤلات محورية حول الآليات التي استخدمتها الإدارة الاستعمارية لتزييف طبيعة الانتفاضة واختزالها في أعمال شغب سياسية، مع تعمد تبرير القمع المفرط وتغييب ممارسات الإبادة والتهجير القسري.

وتكمن جوهر المشكلة في كيفية توظيف سياسة الصمت تجاه الضحايا الجزائريين مقابل تضخيم الخسائر الأوروبية لشرعنة العنف، ومدى قدرة الشهادات الشفوية الجزائرية والمقاربات التاريخية النقدية على هدم هذا الخطاب السلطوي المنحاز، وإعادة بناء سردية تاريخية عادلة تستند إلى تقاطع المصادر الرسمية مع الذاكرة الحية لضحايا المجازر، وهو ما يضعنا أمام التساؤلات التالية:

ما هي الأدوات المنهجية التي اعتمدها التقرير لتجريد الانتفاضة من أبعادها الوطنية؟ وكيف وظفت الإدارة العسكرية سلطتها في تغطية حجم الإبادة الجماعية؟ وإلى أي مدى نجحت الشهادات الحية والكتابات الجزائرية في هدم هذا الزيف الأمني وإعادة الاعتبار للذاكرة التاريخية لمدينة خراطة؟

1. التعريف بالتقرير

1.1. قيمته العلمية وأصالته

يعد هذا التقرير وثيقة تاريخية أصيلة، تم إعداده من قبل "**الفرقة المتنقلة للشرطة القضائية ببجاية**" تحت إشراف المفوّض "**كروز ريمون**"، وتكتسي هذه الوثيقة أهمية حداثية استثنائية لكونها من الأرشيفات السرية التي رفعت عنها السرية حديثا، وهو ما يفسر غيابها التام عن الأدبيات والمراجع التاريخية السابقة، سواء الفرنسية منها أو الجزائرية التي أرخت لمجازر 8 ماي 1945 في منطقة خراطة، ومن هنا فإن تقديمنا لهذه

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

المادة الوثائقية يهدف إلى إخراجها من حيز الكتمان الأرشيفي في أكس أون بروفنس إلى فضاء النقد التاريخي، ومقابلتها بالشهادات الميدانية الجزائرية لإرساء قراءة علمية متوازنة تتجاوز السرديات الأحادية الجانب .

2.1. مصدره

توجد النسخة الأصلية لهذا التقرير في أرشيف ما وراء البحار بمدينة "**أكس أون بروفنس**" (ANOM) بفرنسا، وضمن محتوياته التي لم تستغل مسبقا، المتعلقة بأحداث خراطة والمناطق المجاورة لها، نجد تفاصيل استخباراتية دقيقة وجهتها الإدارة الاستعمارية إلى أعلى الهرم السلطوي، إن هذا التقرير الجديد يمنح الدراسة طابعا أصيلا، حيث لم يسبق إخضاع هذه المادة الوثائقية للتحليل التاريخي والنقدي من قبل، مما يجعلها أداة فعالة في إعادة قراءة أحداث خراطة وفهم آليات السياسة الأمنية التي حاولت الإدارة الفرنسية من خلالها التستر على الجريمة وتوجيه الرأي العام السياسي والعسكري آنذاك.

أعدّ هذا التقرير كما أشرنا من طرف الفرقة المتنقلة للشرطة القضائية ببجاية، وهي جهاز أمني تابع للإدارة الاستعمارية الفرنسية، وكان يرأسها آنذاك المفوّض كروز ريمون، الذي وقّع التقرير بصفته رئيس الفرقة، ويعكس انتماء الجهة المعدّة طبيعة الوثيقة ووظيفتها، إذ كتبت في إطار عمل أمني استخباراتي يهدف إلى جمع المعلومات الميدانية، وضبط الوقائع، وتقييم الوضع الأمني عقب أحداث خراطة في 9 ماي 1945.

وقد وجّه التقرير إلى مستويات عليا في هرم السلطة الاستعمارية، شملت ديوان الوزير المفوّض والحاكم العام للجزائر، والديوان العسكري، والأمانة العامة للحكومة، مع نسخة إلى مديرية الشؤون الإسلامية وأقاليم الجنوب، ويكشف هذا التوزيع الواسع عن الأهمية التي أولتها الإدارة الاستعمارية لأحداث خراطة، وعن إدراجها ضمن ملفات الأمن العام ذات الطابع السياسي والعسكري، لا باعتبارها حادثا محليا معزولا، بل جزءا من أزمة شاملة هزّت النظام الاستعماري في الجزائر عقب الانتفاضة (Rapport sur les événements, 1945, p.1)

2. مضمون التقرير

استهل التقرير ذكر النشاط الكثيف و المنظّم الذي مارسته خلال الأشهر الأخيرة حركة أحباب البيان والحرية أفضى بوصفه نتيجة منطقية، إلى اندلاع أعمال الشغب المأساوية والدامية التي شهدتها مقاطعة قسنطينة، والتي انطلقت شرارتها يوم 8 ماي 1945 بمدينة سطيف أثناء موكب الاحتفال بالنصر، فقد كان فرحات عباس من خلال جريدته المساواة يذهب إلى أن استعمال القوة لا يمكن أن يفضي إلى حل النزاع القائم بين الحكومة الفرنسية والجزائريين (الميثاق الأطلسي)، غير أن خطابه العنيف وما رافقه من دعوات إلى النضال، ومن دعاية ومنشورات وطنية جزائرية لم تخف عزمها على اللجوء إلى أعمال عنف لضمان انتصار أفكارها، لم يكن من شأنه إلا أن يقود إلى مآسٍ دموية، بثّت القلق في أوساط السكان الأوروبيين في الأرياف. (Rapport sur les événements1945 , p.1) .

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إن حركة أحباب البيان والحرية لم تكن في حقيقة الأمر سوى أحد فروع الحركة الوطنية الجزائرية، وإن كان فرعا رئيسيا فيها، تلك الحركة التي كانت تضم في صفوفها حزب الشعب الجزائري ' P.P.A '، وجمعية العلماء المسلمين، وحركات الشباب المسلم، وقد كانت جميعها بمثابة مشاتل حقيقية لإعداد الرجال.

وكان الشباب يدربون على نحو يمكنهم من تشكيل مجموعات قتال فعّالة، في حين كانت العقول تشكّل وفق النموذج الوطني الجزائري، على يد قادة كانوا في الغالب شخصيات بارزة، أو تجمعهم روابط عائلية داخل حركة أحباب البيان والحرية، يتساءل التقرير **عن حجم التأثير الأجنبي، ودور القومية العربية في هذه الأحداث؟ وهل سيفضي التحقيق إلى الكشف عن تواطؤ محتمل بين زعماء جزائريين محليين وزعماء عرب من حوض البحر الأبيض المتوسط؟** ومن المثير للقلق أن يلاحظ اندلاع حركات تمرّد في اليوم نفسه بكل من سوريا ولبنان والجزائر.

ومن جهة أخرى، قمنا بإخطار زميلنا في الفرقة المتنقلة بقسنطينة بوجود سيارة عسكرية إنجليزية، مجهّزة تسليحا جيدا، شوهدت في خراطة عشية اندلاع أعمال الشغب، وكانت هذه السيارة قادمة من بيريغوفيل (عين الكبيرة) يوم 8 ماي، ثم واصلت طريقها يوم 9 ماي، سالكة مضايق خراطة، وذلك قبيل وقت وجيز من اندلاع أعمال الشغب في هذا المركز الاستيطاني.

وقد زعمت بعض الصحف اليومية أن هذه الحركة التمردية تعود أسبابها إلى الضيق الشديد الذي يعانيه الفلاحون، وإلى المجاعة العميقة التي تضرب قرى الجزائريين، غير أنه وإن كان من الصحيح القول بوجود صعوبات غذائية في بعض المناطق ولا سيما فيما يتعلق بالحبوب، فإنه يمكن التأكيد دون أدنى تردد أن المسألة الغذائية لم تكن العامل الذي وجّه أعمال الشغب، إن مخازن خراطة المكدّسة بالحبوب لم تتعرض للنهب ولا لأي اعتداء، رغم أن الأهالي كانوا يسيطرون على القرية، ولا سيما على هذا الجزء منها، خلال الفترة الممتدة من الساعة السابعة إلى الساعة الرابعة عشرة. (Rapport *sur* les *événements* ,1945 , p.2.)

1.2. أحداث خراطة

1.1.2. أمر الهجوم

في يوم 8 ماي 1945 قرابة الساعة الرابعة بعد الزوال وصلت إلى خراطة الحافلة المختلطة داشنال، وهي تحمل أخبار مثيرة للقلق، مفادها أن حركة تمرد كانت قد اندلعت في صباح اليوم نفسه بمدينة سطيف، وأن عددا كبيرا من الأوروبيين قد قتلوا، كما أفادت بأن الحافلة كانت قد تعرّضت، قبل وصولها بقليل لهجوم شنّته مجموعة كبيرة من الأهالي المسلحين على طريق عموشة، ما أسفر عن إصابة ثلاثة مسافرين بجروح.

إن السيد روسو، المتصرف الرئيسي (رئيس البلدية) للبلدية المختلطة تقيطونت رفقة مساعده توجّها على الفور إلى موقع الاعتداء (وسيتبين لاحقا أنهما تعرضا لهجوم وقتلا على يد المنتفضين)، وقبيل مغادرة

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الحافلة في اتجاه بجاية انتشر المسافرون في أرجاء القرية، وأخذوا يتداولون على نطاق واسع أخبار أحداث سطيف ويعلقون عليها.

واصلت الحافلة سيرها في اتجاه بجاية، وكانت على وشك مغادرة مركز خراطة، حين وصلت سيارة أجرة قادمة من بجاية، يقودها معوشي السعيد، وكان على متنها بابا عيسى عبد الحميد، تاجر بمدينة بجاية، وعضو سابق في الحركة الوطنية، وعضو نشط في أحباب البيان إلى جانب ثلاثة أهالٍ آخرين قادمين من سطيف.

توقفت السيارة أمام متجر المدعو شعبان مسعود، تاجر الخضر بخراطة، وعضو المكتب المحلي لأحباب البيان، فنزل بابا عيسى عبد الحميد وأحد المسافرين من السيارة، ودخل الاثنان إلى محل شعبان مسعود، دار حديث مطول جمعهما بشعبان مسعود، وسعدون سليمان، الشريك التجاري له، وبابا عيسى بوعلام، حارس الغابات بخراطة.

ما موضوع هذا الحديث؟ من السهل تخيّله، إذ أن سيارة الأجرة كانت قد مرّت عبر مناطق التي عرفت اضطرابات الواقعة بين العنصر وخراطة، وكانت قد أوقفت هناك من طرف المنتفضين.

وخلال استجوابه صرح شعبان مسعود بأن بابا عيسى عبد الحميد كان حاملا للأمر الشفهي الصادر عن فرحات عباس ومصطفاي، الذي يأمره بإطلاق الهجوم على القرية في اليوم الموالي، وأضاف أنه كان مكلّفا كذلك بتوجيه ملاحظات إلى التاجر خرخاش محمد، الذي لم يكن قد امتثل للأوامر التي أبلغ بها هاتفيا.

غير أن بابا عيسى أنكر ذلك وصرّح بأنه لم تكن له من قبل أي علاقة بشعبان مسعود، وأنه لم يدخل هذا المتجر إلا لتحية قريبه حارس الغابات.

غير أنه عند خروجه من محل شعبان مسعود، توجّه بابا عيسى عبد الحميد إلى منزل بوعيسي الحسين، وهو عضو في أحباب البيان، وسيتبيّن لاحقا أنه كان قائدا نشطا للغاية لإحدى الجماعات المسلحة أثناء الهجوم على القرية، ثم انطلقت سيارة الأجرة في اتجاه بجاية، ورفع السائق راية بيضاء لعبور مضايق خراطة.

ومهما يكن من أمر فإن شعبان مسعود كان يتشاور مع الشيخ العربي، معلم بمدرسة خراطة، ومع قادة أحباب البيان، وقد جرى نقل أمر الهجوم إلى القرى بواسطة وسطاء من رؤساء الفرق (فرق المشاتي والقرى) ورؤساء الجماعات (كبار لجماعة) (*Rapport sur* les *événements* ,1945 p.3).

مرّت الليلة دون تسجيل أي حادث، غير أنه مع بداية المساء قرابة الساعة السادسة مساء قطعت الاتصالات الهاتفية بين عموشة وخراطة، وكان متصرف خراطة قد اتخذ جملة من التدابير الأمنية، إذ أخطر حارس الحقول وسكان القرية، مبيّنا أنه في حال الضرورة ستقرع أجراس الكنيسة، وهو ما كان يعني وجوب انسحاب السكان الأوروبيين إلى قصر دوسي ' **Dussaix** '.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وقد وضع القصر من طرف مالكيه تحت تصرّف السكان، فتوجّه إليه عدد من الأشخاص لقضاء الليل فيه، وكان من المقرر أن تؤمّن الحماية لثلاثة مبانٍ، هي: مكتب البريد، مقر الدرك، وقصر دوسي، كما وضع الدرك تحت تصرّف متصرف خراطة سبعا وأربعين بندقية، جرى توزيعها على النحو الآتي:

- 15 إلى الشركة ' **Campenon** '.
- 15 إلى شركة الكهرباء.
- 17 إلى قصر دوسي.

وانسحبت المجموعتان الأوليان، بعد بدء الهجوم على قصر دوسي، وطيلة الليل تولى ثمانية رجال حراسة مكتب البريد.

2.1.2. الهجوم على المركز الاستيطاني خراطة

في يوم 9 ماي قرابة الساعة السادسة والنصف صباحا قطعت الاتصالات الهاتفية بين خراطة وسطيف، وبدأ الأهالي يتوافدون بأعداد كبيرة نحو القرية، من دون أن تكون أية أسلحة ظاهرة، غير أن السكان الأوروبيين وقد استشعروا الخطر شرعوا في التوجه إلى القصر، حينما دوّى قرابة الساعة السابعة أول إطلاق نار في وسط القرية، وسقطت أول ضحية أوروبية وهو السيد غرامون ' **Gramont** '.

وفورا، ومن مختلف الجهات تتابعت طلقات الرصاص، وبدأت نقاط المقاومة التي كان قد خطّط لها مسبقا تؤدي دورها على الفور. وكان برينغفال ' **Ringdal**' مسلحا برشاش، وهيدوشي ' Hidouchi ' مسلحا ببندقية صيد، وقد حاولا القيام بطلعة، غير أنهما اضطرا إلى الانسحاب نحو ثكنة الدرك، كما التحقت حواجز المؤسسة وشركة الكهرباء بقصر دوسي، غير أن أربعة وسبعين شخصا، لم يكونوا قد أخطروا، ظلوا داخل القرية، وكانوا قد لجؤوا إلى المنازل منذ أول إطلاق نار.

وقد تعرضت محكمة الصلح، ومكتب البريد، وفندق هرنانديز، لهجوم عنيف من طرف المشاغبين، وكان عدد المتمردين بقيادة شعبان مسعود، سعدون سليمان، مجاهد بلقاسم مساعد قضائي، بومداد كاتب ضبط بمحكمة الصلح، وجليد علي_محاسب لدى الشركة، يتزايد بسرعة وكان من الممكن تقديره، قرابة الساعة العاشرة صباحا بأكثر من ألفي شخص.

وكان يشاهد على قمم المرتفعات المشرفة على خراطة عدد أكبر من الأهالي، في وضعية ترقّب للهجوم على القرية، وقد أضرمت النيران في عدد من المنازل والمخازن، فارتفعت ألسنة لهب عالية بسرعة نحو السماء، وعلى وقع صرخات الجهاد في سبيل الله، كان رؤساء الفرق يدفعون رجالهم إلى القتال.

أما النهب المنظم الذي قام به المشاغبون فقد وفّر لهم داخل متاجر ومنازل القرية إشباعا فوريا، ويمكن القول إن نزعة السلب أسهمت في إنقاذ حياة عدد كبير من السكان، إذ انشغل الأهالي – حسب التقرير – بالسرقة أكثر من انشغالهم بمهاجمة أولئك الذين كانوا قد وجدوا داخل إحدى غرف مساكنهم ملجأ مؤقتا.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

أصاب مدافعو مكتب البريد أحد المهاجمين إصابة قاتلة، وقد جرى نقل ثلاثة جرحى من الأهالي إلى متجر شعبان مسعود قصد إجلائهم، كما نقل القتيل على الفور على ظهور البغال نحو دوارهم، وبفضل توفر وقود من نفط وبنزين عثر عليه لدى بعض التجار، إلى جانب خراطيش ديناميت مأخوذة من شركة السد، كان بإمكان المشعلين مضاعفة بؤر الحرائق بسرعة.

2.2. الإغاثة

أصبحت حالة السكان تزداد حرجا، قرابة الساعة الثانية زوالا وعلى مسافة تقارب كيلومترا واحدا من القرية بدأ دوي الأسلحة الآلية يسمع، ووصلت سيارتان مصفحتان مزودتان برشاشات قادمتان من الجزائر العاصمة.

وعلى الفور، دبّ الهلع في صفوف الأهالي، وكان ذلك هلعا عاما، وعلى وقع صرخات الجبل الجبل، اندفعوا نزولا من المنحدرات، وعبروا وادي أغريون ركضا، ثم صعدوا نحو الجبل الحامي، وخلال عمليات التمشيط العسكري الأولي، لقي نحو عشرين من الأهالي مصرعهم، من بينهم:

- جليد علي، كاتب القسم المحلي لأحباب البيان.
- حنوز أعراب، مساعد طبي.
- مجاهد بلقاسم، مساعد قضائي.
- بومداد، كاتب ضبط بمحكمة الصلح بخراطة.

وكلهم كانوا قد شاركوا مشاركة فعّالة في أعمال الشغب، وقدمت دواوير بني مرعي، وبني فلكاي، ووادي البارد، وجرمونة، وقلعون، وذراع القايد، التي كانت قد دخلت في حالة تمرّد استسلامها بعد بضعة أيام إلى العقيد بوردِيلا **'Bourdila'**، وإلى حدود هذا اليوم، جرى تسليم ثلاثمائة وثلاث وسبعين بندقية صيد، وبندقية واحدة، واثني عشر مسدسا، وأربعة مسدسات دوّارة إلى السلطات،(Rapport *sur* les ,1945 p.4) *événements*

3.2. الأضرار

كان منظر القرية الاستيطانية أمام الأعين المذهولة مشهدا مفجعا، فقد التهمت النيران كليا أو جزئيا، محكمة الصلح، والمتجر وعمارة أتيليو **'Attilio'**، ومكتب البريد، وعمارة ساكس **'Sax'**، والمبنى المخصص لإسناد الصفقات، كما كانت جميع المنازل السكنية والمتاجر الأوروبية قد تعرضت للنهب، وكان هناك للأسف، ثماني ضحايا أوروبيين:

- السيد قاضي الصلح ترابو ميشال **'Trabaud Michel'** وزوجته.
- فيلليو دو كورسي **' Villelieu De Corcy '**، موظف لدى الشركة.
- غرامون أيمي **' Gramont Aimé '** قتل برصاصة بندقية في الشارع الرئيسي للقرية.
- لوبيز إيمانويل (Lopez Emmanuel) وأوقاسي محمد، قُتلا داخل إحدى غرف فندق هرناندیز.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

– أونيس أنطوان ' **Onis Antoine** ' والآنسة زمور بوليت ' Zemour Paulette '، قُتلا بإطلاق نار داخل.

وفي 14 ماي، وبعد إعادة فتح حركة المرور في المضايق، توجهت إلى خراطة رفقة المفتشين تليم **'Thelim'**، وبرال **'Barral'**، وماز **'Maz'**، وبلحبيب، وشرعنا في فتح التحقيق بالتعاون مع درك خراطة.

لقد قمنا في إطار تنسيق مشترك بتنفيذ مئتين وأربعين عملية توقيف واحتجاز، بهدف تحديد هوية الفاعلين في جرائم القتل العمد وإلقاء القبض عليهم، باستثناء قاتل غرامون إيمي، المدعو شلوش عمر، الذي قتل لاحقا خلال العمليات العسكرية في دوّار وادي البارد.

كان السيد رامبو ' **Raimbaud** ' المسؤول الفرع البلدي توجه يوم الأحد 6 ماي إلى قصر دوسي، حيث قضى الليل، وكان من المقرر إنذار السكان في حال الخطر عبر قرع أجراس الكنيسة، غير أن هذه التدابير الأمنية لم تنفّذ، إذ أن حارس الحقول لم يحضر يوم 9 ماي وقبيل اندلاع الشغب، ولم يقم بإخطار السكان فرديا بضرورة التوجه إلى القصر، وقد تبين للأسف أن التحذير لم يشمل الجميع.

لم تخف الساكنة في مناسبات عدة مشاعرها تجاه مسؤول الفرع البلدي، ويجدر في المقابل التنويه لصالح السيد رامبو بسلوكه الشجاع خلال العمليات العسكرية التي قامت بها الفرقة الأجنبية، إذ تولى بنفسه قيادتها إلى جميع الدواوير الوعرة التابعة لبلدية تقيطونت المختلطة..(Rapport *sur* les ,1945 p.4) *événements*

وقد جرى الدفاع عن مقر الدرك بحزم ورباطة جأش من طرف الدركي بيغار ' **Bigard** '، الذي كان يتولى مؤقتا قيادة فرقة خراطة، وذلك بمساعدة الدركيين بيكر ' **Becker** '، وبلان ' **Blanc** '، ورينغفال ' Ringval '، وبمساندة المساعد هيدوشي ' **Hidouchi** '، كما تلقوا الدعم من السيد ميشيلي' Micheli '، المراقب بسجن المدنيين، ومن بوفوا ' **Bufosi** '، التقني لدى المستوطن دوسي، إضافة إلى ثلاثة من أفراد الدواوير جرى إلحاقهم بالدرك.

وقد دافع عن مكتب البريد بشجاعة كل من:

– السيد لادهيلي ' **Ladhili** '، متسلّم البريد.

– سيلنتي ' **Silenti** ' متسلّم الأملاك.

– أورغولي ' Orgoli ' مراقب الجسور والطرق.

– ديرغوتون ' **Dergouton** ' مهندس طبوغرافي.

– أروندو ' 'Arroundeau رئيس المحاسبين لدى دوسي.

– سيلبيه ' **'Sellier** كاتب ضبط بمحكمة الصلح.

– دايمان ' **'Daymand** حارس الحقول.

– فريزافيل ' **'Fresaville** وبيتوتان ' **'Pitoutan** تاجران.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وقد لجأ القايدان بوسفوت صالح، قايد بني مرعي وقلعون، ودرقيني محمد قايد وادي البارد إلى قصر دوسي يوم 8 ماي، أما شيتور مبروك قايد جرمونة وبني فلكاي، فقد قضى ليلة 8 ماي في مكتب البريد، حيث كان يقوم بمهام الحراسة، وقد فوجئ صباح اليوم الموالي عند اندلاع أعمال الشغب، وهو في الشارع حيث شاهده أوروبيون يتلقى عدّة طلقات نارية، ولم ينج منها إلا بفضل سرعة فراره، فلجأ إلى أحد بيوت القرية واختبأ إلى غاية وصول القوات.

لقد أحسن القياد بوسفوت، وشيتور، ودرقيني التصرف، وكانوا نشطين للغاية خلال العمليات العسكرية التي تلت أحداث الشغب، ولا يمكن لذلك الإبقاء عليهم على رأس دواويرهم، نظرا لوجود أعمال انتقام فردية مؤكدة.(Rapport *sur* les *événements* ,1945 p.5).

وكان رؤساء الفرق ورؤساء الجماعات (كبار لجماعة) في غالبيتهم منخرطين بفعالية في الحركة التمردية، غير أنه من المطمئن تسجيل حالات معزولة لأهالٍ أبدوا شجاعة في حماية أوروبيين، فقد قام عمران بشير بن بلقاسم وإدير رمضان من دوّار جرمونة بحماية مزرعة فرنسوا روسولي ' **Rousselet** '، الواقعة بمكيدة، على بعد تسعة كيلومترات من خراطة، وبفضل حزمهم وجرأتهم حالوا دون نهب الممتلكات، وضمنوا سلامة المزارع واثنتين وعشرين أسيرة إيطالية كن يعملن في المزرعة، أما العامل اليومي جوهيرة سليمان، المستخدم في المحطة الكهربائية، فقد عبر الجبل إلى أن بلغ قرية خراطة، و كان عامله مارسيلينو مصابا بطلقة نارية، فظل يسانده ولم يتخل عنه، رغم طلقات الرصاص التي أطلقت عليهما من طرف مدافعي القصر، الذين ظنوهما من المشاغبين.

وعلى ضوء الوقائع المؤسفة التي شهدتها خراطة يوم 9 ماي 1945، يمكن القول إن نقص التنسيق بين الأهالي وعجزهم عن الخضوع لانضباط صارم، وضعف تسليحهم الذي اقتصر في معظمه على بنادق الصيد، فضلا عن نزعة السلب التي طبعت سلوكهم، قد أسهمت في إنقاذ حياة عدد كبير من الأوروبيين.

ولولا هذه النقائص التي كان لها أثر إنقاذي بالنسبة للسكان الأوروبيين، لكان عدد الضحايا أعلى بكثير، إن هذه الأحداث الدرامية قد خلّفت للأسف هوّة عميقة بين الأهالي والأوروبيين، وستكون لها انعكاسات جسيمة على العلاقات المستقبلية التي لا غنى عنها.

لقد حلّت اليقظة والحذر، والجمود الظاهري، محل ما كان ينظر إليه سابقا على أنه غطرسة من جانب الأهالي، غير أن هذه المظاهر لا تخفي سوى كراهية كامنة ومؤجّلة داخل صفوفهم، أما الثقة المتبادلة الضرورية، فلم يعد لها مكان في قلوب أولئك الذين كانوا منخرطين مباشرة في تلك الأيام المأساوية، كما أن توترا حقيقيا كامنا سيظل قائما، ولن يزول إلا بمرور الزمن، وقد عبّر بعض الأهالي صراحة عن رغبتهم في الانتقام من أوروبيين كانوا قد نددوا بهم علنا، ويبدو أن أعمال انتقام فردية ستكون حتمية بمجرد عودة الوضع إلى طبيعته.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

لذلك فإن وجود القوات العسكرية يظل ضروريا في مركز خراطة لفترة طويلة نسبيا، على الأقل إلى أن يتم التأكّد من أن عناصر الفوضى لا تسعى إلى إعادة تجميع الوطنيين واستئناف الحركة على أسس جديدة، مع الأخذ هذه المرة بعين الاعتبار الأخطاء السابقة.(Rapport *sur* les *événements*. ,1945 p.6).

3. نقد التقرير

يعتمد التقرير في عرضه للأحداث على تسلسل دقيق للوقائع كما رصدتها المصالح الأمنية، حيث يجمع بين المعطيات الزمنية، وأسماء الفاعلين، والأماكن، والتحركات الميدانية، مع تركيز واضح على ما تعتبره الإدارة الاستعمارية نقاطا مفصلية في تطور الأحداث، ويغلب على النص الطابع الوصفي الإخباري، المدعوم بتفاصيل إجرائية وتقنية، تعكس طبيعة العمل الأمني اليومي، وتكشف عن طريقة تسجيل الحوادث وتصنيفها داخل الجهاز الإداري الاستعماري، وتقييم مستوى الخطر الأمني، فضلا عن كشف جماعة الناشطين المحليين المنتمين إلى حركة أحباب البيان والحرية، التي يصورها التقرير لاحقا بوصفها المحرك الرئيسي لما جرى في منطقة خراطة.

يكشف هذا التقرير عند قراءته قراءة نقدية متأنية، عن حدود السياسة الأمنية الاستعمارية وعن طبيعتها التبريرية، إذ يقدّم أحداث خراطة في إطار ضيّق يختزلها في أعمال شغب وتمرّد، متجاهلا عمدا حجم العنف الممنهج الذي مارسته القوات الفرنسية ومعها اللفيف الأجنبي وقوات السينغاليين ضد السكان الأصليين، فرغم الإسهاب في وصف الهجوم على القرية وخسائر الأوروبيين، يلتزم التقرير صمتا شبه تام إزاء سياسات القمع الجماعي التي أعقبت الأحداث، والتي تمثّلت في القتل خارج إطار القانون، والتنكيل بالأهالي، والحرق، والنهب، والاعتقالات الواسعة.

ويبرز هذا التحيّز بوضوح في الطريقة التي يعالج بها التقرير عمليات التمشيط العسكري، إذ يكتفي بالإشارة إلى مقتل نحو عشرين من الأهالي بصيغة تقريرية محايدة، من دون أي توصيف لظروف القتل أو طبيعته، ولا إشارة إلى الإعدامات الميدانية أو رمي الجثث في الشعاب والأودية، وهي ممارسات وثّقتها شهادات عديدة من الذاكرة المحلية.

كما يغفل التقرير تماما ما رافق العمليات العسكرية من حرق للمداشر والدواوير، ونهب للممتلكات، وتشريد للسكان، في حين يسقط عنف الدولة من دائرة المساءلة ويقدّمه بوصفه ضرورة أمنية، ويظهر التناقض الداخلي للتقرير أيضا في اعترافه، من جهة بأن ضعف تنظيم الأهالي ونقص تسليحهم ونزعة السلب لديهم أنقذت حياة عدد من الأوروبيين، بينما يستخدم من جهة أخرى هذه العناصر نفسها لتبرير استمرار الوجود العسكري والقمع طويل الأمد، فهذا الاعتراف في حد ذاته ينقض رواية الخطر الوجودي التي يسعى التقرير إلى ترسيخها، ويؤكد أن ما واجهته الإدارة الاستعمارية لم يكن جيشا منظّما، بل سكانا عزّل واجهوا آلة قمع متفوقة.

كما أن التقرير يغفل مصير الآلاف الذين زجّ بهم في السجون، أو نقلوا إلى المعتقلات، أو تعرّضوا للتعذيب، أو فقدوا ممتلكاتهم ومساكنهم، وعليه فإنه هذا التقرير رغم قيمته الوثائقية لا يمكن قراءته باعتباره سردا

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

موضوعيا للأحداث، بل بوصفه نصا سلطويا يهدف إلى تبرير العنف الاستعماري، ونزع الطابع الشعبي والسياسي عن انتفاضة ماي 1945، ومن هنا فإن نقده لا يقوم فقط على ما قاله، بل على ما تعمّد عدم قوله، وعلى الهوّة الواسعة بين لغته الإدارية الجافة وواقع الإبادة والقمع والتنكيل الذي عاشه السكان الجزائريون في خراطة ومحيطها.

4. أهمية الشهادات الجزائرية في إعادة بناء أحداث خراطة

تعد الشهادات الجزائرية التي أدلى بها الفاعلون وشهود العيان الذين عاشوا أحداث خراطة في 8 و9 ماي 1945 من أهم المصادر التاريخية لفهم حقيقة ما جرى، لاسيما في ظل الطابع التبريري والتحيزي الذي يميّز الوثائق الأمنية الاستعمارية، فهذه الشهادات لا تنقل الوقائع من زاوية إدارية أو أمنية، بل تعبّر عن المأساة التي عاشها سكان خراطة والقرى المجاورة في لحظة تاريخية مفصلية اتسمت بالعنف والقمع والإبادة.

وتكتسي هذه الشهادات قيمة مزدوجة، فمن جهة تسهم في سد الثغرات الكبيرة التي خلّفها صمت التقارير الاستعمارية بشأن مصير النساء والأطفال، وما تلا الأحداث من قمع جماعي، ومن جهة أخرى تمثّل أداة نقدية فعّالة لتفكيك الخطاب الاستعماري، إذ تكشف التناقض بين اللغة الإدارية الجافة التي تختزل المأساة في انتفاضة، وبين الواقع الميداني الذي اتسم بعمليات قتل خارج القانون، وحرق للقرى، واعتقالات وتعذيب وإذلال جماعي.

كما أن اعتماد هذه الشهادات لا يعني تبنّي خطاب عاطفي أو غير علمي، بل يندرج ضمن مقاربة تاريخية نقدية حديثة تعترف بالذاكرة الشفوية بوصفها مصدرا تاريخيا مشروعا، خاصة عندما تتقاطع شهادات متعددة، مستقلة زمنيا ومكانيا، وتتطابق في وصف الوقائع، كما هو الحال في شهادات السعيد عليك، وبخوش لحسن، وأحمد جاتي.

5. الرد على التقرير الأمني في ضوء شهادات الجزائريين

تقتضي قراءة التقرير الأمني الاستعماري قراءة نقدية تجاوز الاكتفاء بتحليل لغته ومضامينه الداخلية، والانتقال إلى مقارنته بمصادر جزائرية عايشت الحدث واحتكت مباشرة بوقائعه، وفي هذا الإطار تشكّل شهادات الفاعلين وشهود العيان الجزائريين مادة أساسية لاختبار مصداقية السرد الاستعماري والكشف عن تناقضاته، إذ تسمح بإعادة بناء تسلسل الأحداث ومنطق العنف من منظور ميداني يضع الوقائع في سياقها السياسي والاجتماعي الحقيقي.

1.5. مسألة اندلاع العنف وبداية الأحداث

يقدّم التقرير الأمني الاستعماري أحداث خراطة على أنها هجوم منظم نفّذه الأهالي في إطار أعمال شغب، غير أن شهادات الفاعلين وشهود العيان تفنّد هذا الطرح، تؤكد شهادة السعيد عليك[1] أن التجمعات الأولى كانت سلمية، رفعت شعارات سياسية واضحة، قبل أن يقابل المتظاهرون بإطلاق نار من داخل مكتب البريد، أسفر عن سقوط شيباني الخير قتيلا، ويتقاطع هذا المعطى مع شهادة أحمد جاتي التي تشير إلى أن

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

أولى الطلقات صدرت من طرف الأوروبيين المتحصنين داخل المباني الإدارية، وهو ما يثبت أن العنف لم يكن مبادرة شعبية عشوائية، بل رد فعل على قمع مسلح (Djati, p.5.) .

2.5. حجم القمع وطبيعته: من التمشيط إلى الإبادة

يختزل التقرير عمليات القمع في عبارة مقتضبة تشير إلى مقتل نحو عشرين من الأهالي أثناء عمليات التمشيط، دون أي توصيف للظروف أو الامتداد الزمني، في المقابل تكشف الشهادات الجزائرية عن قمع واسع اتخذ طابع الإبادة الجماعية، يروي السعيد عليك مجزرة عائلية كاملة شملت قتل الأب والأم وعدد من الأطفال، ورمي رضيعة على صخرة (روبا، 2018، ص.8)، في حين يؤكد أحمد جاتي القصف المدفعي والجوي الذي استهدف خراطة والدواوير المجاورة، وحرق المنازل، وقتل الفارين في الأودية والشعاب، أما شهادة بخوش لحسن فتسلط الضوء على الإعدامات الجماعية والرمي من المرتفعات في شعبة لاخرة، وهي ممارسات يغيب ذكرها تماما في التقرير (بخوش، 2010).

3.5. خدعة العفو وسياسة الإخضاع

يتجاهل التقرير الأمني الأساليب التي اعتمدتها الإدارة الاستعمارية لإخضاع الأهالي بعد الأحداث، بينما تتقاطع شهادات بخوش لحسن وأحمد جاتي حول استعمال وعود العفو لاستدراج السكان من الجبال، ثم اعتقالهم وتعذيبهم وإعدام عدد منهم، كما توثق الشهادات مشاهد الإذلال الجماعي، من إجبار الأهالي على سبّ قادة الحركة الوطنية، وتسليم الأسلحة تحت التهديد، وفرض أعمال السخرة، وتنظيم مسيرات الإخضاع نحو مالبو، في سياسة واضحة لكسر الإرادة الجماعية لا لاستعادة النظام فحسب (لوصيف، 2024، 34).

6. نماذج من الشهادات الحية لناجين من الإبادة

1.6. إسماعيل منصوري

كانت القوات الفرنسية المدججة بالسلاح والدبابات قد بلغت مشارف خراطة، لا تفرق بين ثائر أو عابر سبيل، في منطقة المرواحة سقط عمار شيباني وأحمد بن عودة مضرجين بدماء البطولة، لتغدو الأرض هناك شاهدة على فظاعة العدوان وشرف التضحية، راحت البنادق تحصد الأرواح بلا رحمة، على حافات الطرقات انتشرت الجثث، فر من بقي إلى الجبال، يحملون جراحهم وذكريات بيوتهم التي هجروا دفئها، خيّم على خراطة صمت ثقيل، يقطعه صدى القصف وصراخ الأطفال.

في 11 ماي أصدر الفرنسيون في خراطة أوامرهم الصارمة إلى مسؤولي الدواوير والمشاتي، مطالبينهم بإعداد قوائم دقيقة بأسماء المتظاهرين، تحصي كل من خرج من دشرته حاملا صوته في وجه الظلم. كما أمروا بتسليم كل سلاح في حوزة الأهالي، داعين الرجال ممن تجاوزوا الخامسة عشرة إلى الحضور الإجباري في خراطة يوم الخامس عشر من ماي، تحت ذريعة الإخضاع والولاء (إسماعيل منصوري، 2018).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

2.6. أحمد جاتي

كان الرجال والنساء والأطفال يركضون مذعورين، بعضهم يسقط في طريقه، وبعضهم يحتضن أبناءه وسط الدخان والرصاص، وهرب الأهالي من خراطة بل ومن دوار بني مرعي المطل على خراطة، والذي أصبح هو الآخر هدفا لمدفعية القوات الفرنسية، كما شوهدت الحيوانات تقاد على عجل نحو طريق الجبل بحثا عن النجاة

بعد ذلك وصل موكب عسكري فوجد الطريق والقرية خاليين تماما، وكان متجها نحو القصر. وقد استقبل أفراده من قبل المساعد الإداري المكلف بخراطة السيد روجيه فورنيي' Roger Fournier '، رئيس بلدية خراطة والمستشار العام والمفوض في الجمعية الجزائرية، وبعد قليل وصلت طائرتان قامتا بقصف المناطق المحيطة بخراطة وذلك عند غروب الشمس (Djati, p.5).

ثم جاء دور المدفعية التي أطلقت قذائف من عيار 105 ملم باتجاه دوار بني مرعي، أقرب الدواوير إلى خراطة، فدمرت المنازل وتسببت في اندلاع الحرائق، وطوال ليلة التاسع إلى العاشر من ماي 1945، لم يتوقف القصف لحظة واحدة، إذ لم تسلم أي عائلة في تلك الجبال من الضربات، لجأت النساء والعجزة والأطفال إلى الكهوف، بينما اختبأ الرجال القادرون فوق القمم لمراقبة تحركات الجنود الفرنسيين، الذين استولى معظمهم على المناطق المنخفضة.

واستمر هذا اللجوء إلى الجبال قرابة أسبوع كامل مع القليل جدا من المؤونة، كان طعامنا يقتصر على السميد المخلوط بزيت الزيتون، نتقاسم منه قطعة صغيرة لكل شخص، وأحيانا كانت وجبتنا من الفول الذي كنا نسرقه ليلا من حدائقنا، إذ غدت تلك الحبوب بالنسبة إلينا أشبه بطعام نحلم به.

في يوم 10 ماي 1945 كانت منطقة تيكتين مأهولة بحوالي عشرين عائلة، يعمل جميع أفرادها في مطحنة دوسي، وقد تعرضت المطحنة للقصف وأحرقت بالكامل بالمدافع، فتحولت جثث كثير من الأشخاص إلى رماد، أما الذين حاولوا الهرب فقد أبيدوا برشاشات النار، ومن بينهم عليك موسى، البالغ من العمر سبعة عشر عاما، الذي قتل مع أمه، كما لقي الابن الذي لم يتجاوز خمس سنوات المصير نفسه إذ حاول الفرار لكن الجنود أمسكوا به بعد ثلاثة أيام من الجوع فقتلوه هو أيضا وألقوه إلى جانب جثث القتلى. (Djati, p.5.)

3.6. السعيد عليك

لما اشتد الوضع وعمت الفوضى اختلطت الأصوات تحول المكان إلى ساحة من لهب ودخان، وبعد لحظات من الاضطراب قدمت القوات العسكرية الفرنسية وجاء الجنود يهرولون مدججين بالسلاح، يطلقون النيران عشوائيا على كل من صادفوه في طريقهم، دون تمييز بين شيخ أو شاب بين هارب أو واقف في ذهول. امتد رصاصهم من نحو كيلومتر واحد عن مكان تجمع المتظاهرين، انطلاقا من المقبرة الكائنة بتالة أوحينش، قرب الملعب البلدي الحالي، حتى بلغوا موقع المسيرة (السعيد عليك، 2022).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ومن هول المشهد الذي انكشف أمام عيني تجمدت الدماء في عروقي، كانت الجثث مترامية هنا وهناك، الخوف والرعب تملكاني حتى كدت أفقد وعيي، فحملت نفسي أركض أبحث عن مأمن من ذلك الجحيم المشتعل، وصلت إلى بيتنا الكائن بحي الدواسلة خلف الكنيسة، وقد كنت أرتجف من شدة الهلع، كان أبي عليك موسى طريح الفراش مريضا لا يبصر إلا بعين واحدة، تلك التي نجت بعد أن أصيبت الأخرى بانفجار أثناء بنائه للكنيسة، حين كان يعمل هناك عاملا بسيطا وشاهدا على زمن قاس (السعيد عليك، 2022).

دخلت مسرعا فأخبرت أمي عكاش محجوبة عما رأيت، وقلت لها إن العسكر قادمون، يطلقون النار على كل من يلقونه في طريقهم، التفتت إلي بوجه شاحب مرتجف، وسألتني: "**وأين إخوتك الثلاثة؟**" أجبتها والدموع تخنق صوتي: "**هربوا يا أمّي... لا أدري أين هم الآن**".

خرجنا من البيت نحمل الخوف والرجاء معا أنا، وأمي، وأبي، وأخي سليمان ذو السبعة عشر عاما، ومنصور ابن الثامنة، وحمو الذي لم يتجاوز الثالثة، ويمينة تلك الرضيعة التي لم تكمل بعد أربعة أشهر من عمرها، كنا نسير متوجسين في البداية نوينا التوجه نحو قرية جرمونة، علنا نجد فيها ملاذا من الموت الذي يجوب الطرقات، لكن الخوف اعترض طريقنا، خشينا أن يرانا الجنود فيطلقوا علينا النار بلا رحمة، فعدلنا وجهتنا نحو حي المحجر، الذي لم يكن فيه آنذاك سوى منزل وحيد تقطنه عجوز طيبة تعرف باسم زوجة ساعد شريط، تعيش بمفردها في سكون يشبه النسيان(السعيد عليك، 2022).

غير أن القدر لم يمهلنا طويلا، إذ رآنا السفّاح جورج فاغلان "**Georges Faglin**"، رئيس مركز الدرك، ذلك الذي لم يهرب كما فعل الآخرون نحو القصر في حي الدواسلة خوفا من انتقام المتظاهرين، بل ظل متمركزا في موقعه، يراقب كل حركة بعين حاقدة، كانت الرؤية واضحة تماما لا أشجار تحجب النظر، ولا نباتات تخفي المارين فاستطاع أن يرانا بوضوح من مركزه، وسرعان ما تقدم نحونا مصحوبا بمجموعة من جنود الفيلق الأجنبي، بقبعاتهم البيضاء التي تعكس قسوة الشمس وقسوة قلوبهم معا.

عندما بلغنا المكان الذي يقوم فيه منزلنا الحالي بحي المحجر، التفت فإذا بي أراهم قادمين من بعيد السفاح جورج فاغلان وجماعته من جنود الفيلق الأجنبي، يسيرون بخطواتٍ ثابتة أخبرت أمي بصوت مرتجف، فشحب وجهها وقالت بحزم متماسك رغم الرعب الذي يسكن عينيها: "**اختبئوا... بسرعة**" تفرقنا كما يتفرق العصافير تحت وقع الصيد: اختبأت وراء صخرة كبيرة تحت نبات الديس، بينما احتمت أمي وأبي وإخوتي بين ثلاث صخور تبعد عني نحو عشرين مترا (السعيد عليك، 2022).

كنت أراهم من بعيد، لم تمض لحظات حتى وصل السفاح وجماعته، كانوا قد رأونا، فصرخ فاغلان بصوته: "**ها هم هنا هيا**" **وانهالت رصاصاتهم بلا رحمة، كانت أمي أول من أصابها الرصاص، فسقطت وهي تضم إخوتي إلى صدرها، رفعت بصرها نحوهم، وقد بدأت روحها تودع الجسد، وقالت بصوت متهدج " أين سأترككم يا أولادي بعد رحيلي...** "، ثم أسلمت الروح وسكنت الأرض. تقدموا بعدها نحو إخوتي، فأطلقوا النار على سليمان، ثم على حمو الصغير، فسقطا صامتين أما يمينة تلك الرضيعة التي كانت على ظهر أمي فقد

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

انتزعها السفاح من رجليها وألقى بها نحو الصخرة، فارتطم جسدها الصغير بالحجر وبدأت تنزف جروحا عميقة، لكنها لم تمت في حينها، بل بقيت تئن في صمت يقطع القلب. ثم التفتوا إلى أبي، الذي كان يرتدي برنوسا أبيض، فأطلقوا عليه النار بدم بارد، فسقط صريعا. غير أن أخي منصور كان خلفه، فغطاه البرنوس حين سقط الأب، فلم يره السفاح ولا جنوده، وظنوا أن الجميع قد قتل، غادروا المكان بعد أن تركوا خمس جثث غارقة في دمائها، وصمتا ثقيلا يخيم على المكان، وحده أنين الرضيعة وارتجاف الأغصان كانا يشهدان على المأساة التي لا يصدقها قلب حيّ (السعيد عليك، 2022).

4.6. لحسن بخوش

تم إخطار الجيش الفرنسي بما جرى، فسارع إلى خراطة مدججا بالسلاح، بينما فر المتظاهرون إلى الجبال والغابات يحتمون بها من بطشه، وما إن وصل العسكر حتى بدأوا بإطلاق الرصاص في كل اتجاه، لا يفرقون بين مقاوم وأعزل، في محاولة لإخماد لهيب الانتفاضة، لكن الجيش الفرنسي، بمساعدة الكولون والقياد، سرعان ما دبر مكيدة ماكرة للإيقاع بالمنتفضين واحدا تلو الآخر.

أرسل القياد إلى القرى والجبال المحيطة بخراطة يبلغون الأهالي بأن فرنسا تدعوهم للصلح، وأن العفو العام قد صدر ولا خطر على أحد، كانت الكلمات تحمل وعودا كاذبة وسما مغلفا باللين، انخدع كثيرون بتلك الدعوات، فنزلوا من الجبال التي احتموا بها، مؤمنين بصدق الوعود، غير أنهم وقعوا في الفخ الذي نصب بإحكام، وبهذا نجحت مكيدة الفرنسيين، الذين استغلوا ثقة الناس ليعيدوا قبضتهم الحديدية على المنطقة ويبدأوا فصلا جديدا من القمع والانتقام (لحسن بخوش).

جمع الفرنسيون من وقع في قبضتهم من المنتفضين في ساحة البريد بخراطة، وهناك بدأت فصول مأساة لا تنسى، نزعت عنهم ثيابهم، ووضعوا على الزفت الساخن، تلهب أجسادهم حرارة الحديد الملتهب، فيما كانت السياط تنهال عليهم بلا رحمة، طال العذاب حتى سئم الجلادون أنفسهم، فقرروا نقل من تبقى على قيد الحياة إلى مصير أشد قسوة، حشروا في شاحنات عسكرية متجهة نحو شعبة لآخرة، وهناك كان المشهد مروعا، يقيد الرجال من أيديهم وأرجلهم ويرمى بهم من أعلى الجبل إلى قاع الوادي (لحسن بخوش).

7. نقد التقرير الاستعماري من خلال الصحافة الجزائرية

حاولت التقارير الاستعمارية تصوير مجازر 08 ماي 1945 على أنها مجرد أعمال شغب أو ردود أفعال على اضطرابات، تتجاهل عمدا الحقيقة المرة لما جرى في ذلك اليوم، الصحافة الوطنية مثل صحيفة البصائر وصفت ما حدث بأنه إبادة استعمارية، معتبرة أن الاستعمار قام بجريمة استعمارية واسعة استهدفت الإنسان الجزائري في وجوده وكرامته، كتب عمر باعزيز في البصائر قائلا: "**إن عهود الاستعمار كلها عهود ظلم وإرهاب، واعتداء على الحريات والحرمات، وأيامه كلها أيام سود في تاريخ البشرية وصحائف، تاريخه كلها تمجيد للطغيان، وسفك الدماء، وقتل للمواهب، وخنق للحريات، وتمكين للاستبداد، وإبادة الشعوب والأمم**" (البصائر، 1949).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

هذا يرد بشكل قاطع على الرواية الاستعمارية التي كانت تروج لتقليل حجم الجريمة، كما أكدت الصحف الوطنية المنار والشعلة أن القمع لم يكن حادثا عابرا أو مجرد رد فعل على تصرفات فردية، بل كان عملية مدروسة ومخطط لها مسبقا من قبل الاستعمار، حيث شمل القتل والتنكيل دون تمييز بين الرجال والنساء والشيوخ والشباب، وقد صورت جريدة الشعلة الآثار النفسية للثامن ماي فهو يدمي في كل حين، وجراحاته لا تندمل، وذكراه لا تمحى (جريدة الشعلة، 1950).

هذا الوصف يظهر أن القمع كان موجها نحو إخماد أي شكل من أشكال الاحتجاجات السلمية أو المطالبة بالحقوق، إن الصحافة الوطنية لم تقتصر على إدانة القمع، بل قوبل الخطاب الاستعماري الذي كان يزعم أن ما حدث لم يكن سوى مجرد أعمال شغب برفض قاطع، الجرائد الجزائرية أكدت على أن الاستعمار كان يواجه المتظاهرين بالرصاص، وهو ما يتناقض تماما مع الرواية الاستعمارية التي كانت تسعى إلى تقديم القمع على أنه مؤقت ومبرر للحفاظ على الأمن.

ومن جانب آخر الشواهد الصحفية الوطنية قامت بتقديم أرقام تقديرية للضحايا تصل إلى أربعين أو خمسة وأربعين ألف جزائري، وهو ما يتناقض مع محاولات التقارير الاستعمارية التقليل من حجم الجريمة، فمن غير الممكن اعتبار إبادة بهذا الحجم مجرد أعمال شغب كما حاول الاستعمار تبريرها، كتب عمر باعزيز مقالا عنوانه ذكرى وعبرة، ومما قال فيه: "**ولكن ما كاد ركب المظاهرات يتحرك حتى فوجئ بحملة عدوانية، فمزقت اللافتات وديست وقتل حاملوها واعتقل عشرات الألوف من الشبان والكهول والشيوخ ونكل بهم شر تنكيل، وأقيمت مجزرة ذهب فيها خمسة وأربعون ألف ضحايا الظلم والعدوان، فيهم الشيوخ والعجائز والنساء والصبيان**" (جريدة المنار، 1951).

فحتى وإن اختلفت الأرقام بين الصحف، فإن الثابت هو أن حجم المأساة كان كبيرا جدا ويمثل جريمة ضد الإنسانية، وفي نفس السياق رفضت الصحافة الوطنية محاولات الاستعمار تصوير ما جرى كرد فعل عسكري على اضطرابات عابرة، بل أكدت الصحف أن القمع كان يهدف إلى كسر إرادة شعب بدأ يطالب بحقوقه السياسية والوطنية، وهو ما يعزز الرواية الوطنية بأن الاستعمار لم يكن يعترف بحقوق الجزائريين في تقرير مصيرهم، بل كان يسعى إلى إبادتهم بشكل منهجي.

8. ما بعد 9 ماي: القمع المستمر وصمت التقرير

يتوقف التقرير عند حدود إخماد التمرد، في حين تؤكد الشهادات أن العنف استمر أسابيع وأشهر، عبر الاعتقالات الجماعية، والتعذيب في المحتشدات والسجون، والمحاكمات العسكرية والأحكام القاسية، إضافة إلى النهب والتجويع وانتشار الأوبئة.

تظهر المقارنة بين التقرير الأمني الاستعماري وشهادات الفاعلين وشهود العيان الجزائريين أن ما جرى في خراطة لم يكن مجرد اضطراب أمني أو رد فعل محدود، بل كان حلقة ضمن سياسة قمع وإبادة وانتقام جماعي استهدفت المجتمع الجزائري عقب انتفاضة شعبية، وعليه فإن إدماج الشهادات الجزائرية لا يكمّل

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الرواية الاستعمارية، بل يعيد بناء الحدث من منظور تاريخي عادل، ويحوّل التقرير الأمني من مصدر تفسيري إلى موضوع للنقد التاريخي.

كما أن المؤرخين الفرنسيين انتقدوا التقارير الفرنسية الرسمية التي تناولت مجازر 8 ماي 1945، ومن بينهم جون لوي بلانش الذي بنى موقفه النقدي انطلاقا من تحليل ما جرى في الميدان لا من الصياغات الإدارية المصاحبة له، فبحسب بلانش تكشف الوقائع الموثّقة كما عاشها السكان وكما أقرّ بها بعض العسكريين الفرنسيين أنفسهم، أن التدخل العسكري تجاوز منذ لحظاته الأولى أي منطق لضبط الوضع، واتخذ شكل عمليات واسعة استهدفت المجال الريفي والسكاني في آن واحد (بلانش، 2007، ص.186).

ويرى أن انتشار الوحدات المسلحة في القرى واستعمال النيران الثقيلة، وملاحقة الفارين في الأودية والمرتفعات، وتدمير المساكن ومخازن المؤونة، كلها مؤشرات ميدانية تدل على أن الهدف لم يكن تفريق تجمعات أو توقيف أفراد، بل إخضاع محيط اجتماعي كامل عبر العنف، ويؤكد بلانش أن غياب معارك فعلية أو مقاومة منظمة، مقابل سقوط أعداد كبيرة من المدنيين واستمرار العمليات أياما وأسابيع بعد انحسار الأحداث الأولى، ينقض الرواية الرسمية التي قدّمت ما جرى باعتباره تدخلا محدودا.

كما يبرز أن ما تلا 9 ماي من مطاردات جماعية، واعتقالات عشوائية، واستعمال وعود الأمان لاستدراج السكان ثم التنكيل بهم، يشكّل امتدادا لنمط واحد من الممارسة، لا يمكن فصله عن لحظة القمع الأولى، وبهذا المعنى يرى بلانش أن التاريخ لا يقرأ في التقارير بقدر ما يقرأ في آثار العنف على الأرض في القرى المحروقة والأجساد الملقاة في الشعاب، وتلتقي هذه القراءة الميدانية مع الشهادات الجزائرية في الكثير من الأحداث.

9. ملاحظة منهجية حول التعامل مع التقارير الأمنية الاستعمارية

يقتضي الاشتغال على التقارير الأمنية الاستعمارية، من قبيل التقرير المتعلق بأحداث خراطة يومي 8 و9 ماي 1945، توخّي قدر عالٍ من الحذر المنهجي، وتجنّب الانسياق وراء ظاهر النص أو التسليم بسلطته الأرشيفية بوصفه سردا موضوعيا للوقائع، فهذه الوثائق رغم ما تتضمنه من تفاصيل زمنية وأسماء وأرقام وإجراءات، لا تعبّر عن الحقيقة التاريخية بقدر ما تعكس منطق السلطة التي أنتجتها، وآلياتها في ضبط السرد وتوجيه الفهم وتبرير العنف.

إن الخلط بين القيمة الأرشيفية للوثيقة وقيمتها التفسيرية يؤدي إلى إعادة إنتاج الخطاب الاستعماري بلغة أكاديمية، وهو ما يحوّل الباحث، دون وعي منه إلى ناقل لمنظور الهيمنة بدل أن يكون ناقدا له، وتكشف القراءة المتأنية للتقارير الأمنية عن كونها خطابا سلطويا مشحونا بلغة معيارية تجرّد الفاعلين الجزائريين من أي بعد سياسي أو اجتماعي، وتحصرهم في توصيفات من قبيل **"المشاغبين"** و**"المتمرّدين"**، مقابل تقديم العنف الاستعماري في صيغة تقنية محايدة أو باعتباره ضرورة أمنية لا تقبل النقاش.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

كما يتجلّى التحيّز بوضوح في سياسة الأرقام المعتمدة، حيث تُبرز خسائر الأوروبيين بإسهاب ودقة، في حين يختزل ضحايا الجزائريين في أرقام عامة ومبهمة، دون توصيف لظروف القتل أو امتداده الزمني والمكاني، وهو ما يجعل الصمت داخل النص معطى تاريخيا لا يقل أهمية عن الكلام الوارد فيه، ولا يمكن فهم هذه الوثائق بمعزل عن سياقها السياسي والزمني، إذ كتبت في لحظة أزمة عميقة عاشها النظام الاستعماري عقب الحرب العالمية الثانية، ما جعل الجهاز الأمني ينظر إلى أي حراك شعبي بوصفه تهديدا وجوديا يستوجب الرد العسكري لا المعالجة السياسية.

خاتمة

بناء على ما سبق، يخلص هذا المقال إلى أن التقرير الأمني الاستعماري حول أحداث خراطة في ماي 1945 لم يكن مجرد وثيقة إدارية لوصف "**أعمال شغب**"، بل كان نصا استعماريا وتبريريا صمم بعناية لشرعنة العنف المفرط وتوفير الغطاء القانوني لسياسة الإبادة الجماعية في خراطة، لقد أجابت الدراسة عن الإشكالية المطروحة بكشفها لزيف "**الرواية الأمنية**" التي حاولت تجريد الانتفاضة من طابعها الوطني الشعبي واختزالها في بعد جنائي، بينما أثبتت المواجهة مع الشهادات الحية والمقاربات النقدية أن ما حدث كان انفجارا وجوديا لشعب واجه آلة قمع الاستعمارية.

إن القيمة العلمية لهذا التقرير الأمني الذي رفعت عنه السرية حديثا لا تكمن في مصداقية معلوماته، بل في كونه مختبرا يكشف آليات صناعة سياسة الصمت الاستعمارية، تلك السياسة التي ضخمت خسائر الأوروبيين لتبرير محو مداشر كاملة وإبادة عائلات بأكملها، كما في شهادات السعيد عليك وإسماعيل منصوري، لقد نجحت الذاكرة الوطنية في هدم هذا الخطاب المنحاز، محولة التقرير من مصدر للتفسير إلى موضوع للنقد التاريخي، ومثبتة أن الحقيقة التاريخية لا تقرأ في الأوراق الرسمية الجافة فحسب، بل في آثار النيران المتروكة في الدواوير وفي صدى الشهادات التي قاومت النسيان.

وفي الختام يظل استحضار هذه الوثيقة ومقابلتها بالذاكرة الشفوية ضرورة منهجية لتفكيك بنية الاستعمار، فانتفاضة خراطة لم تكن مجرد اضطراب محلي، بل كانت محطة مفصلية كشفت للجزائريين عقم الوعود الفرنسية، وعبّدت الطريق بدم الشهداء أمثال عبد القادر عباشة وعمر شلوش نحو خيار الكفاح المسلح الحتمي، معلنة أن شرعية المقاومة هي الرد الوحيد على زيف العدالة الاستعمارية، وبذلك فإن إعادة قراءة التقرير الأمني الاستعماري في ضوء الشهادات الوطنية والصحافة الجزائرية المعاصرة للأحداث تسمح بتجاوز الرواية الرسمية الضيقة نحو فهم أعمق لطبيعة العنف الاستعماري، كما تؤكد أن مجازر خراطة لم تكن حدثا معزولا، بل جزءا من سياسة قمعية واسعة استهدفت كسر الوعي الوطني الصاعد، ومن ثم تبقى الذاكرة التاريخية أداة أساسية لإنصاف الضحايا وحماية الحقيقة من التشويه والتقليل.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الملاحق

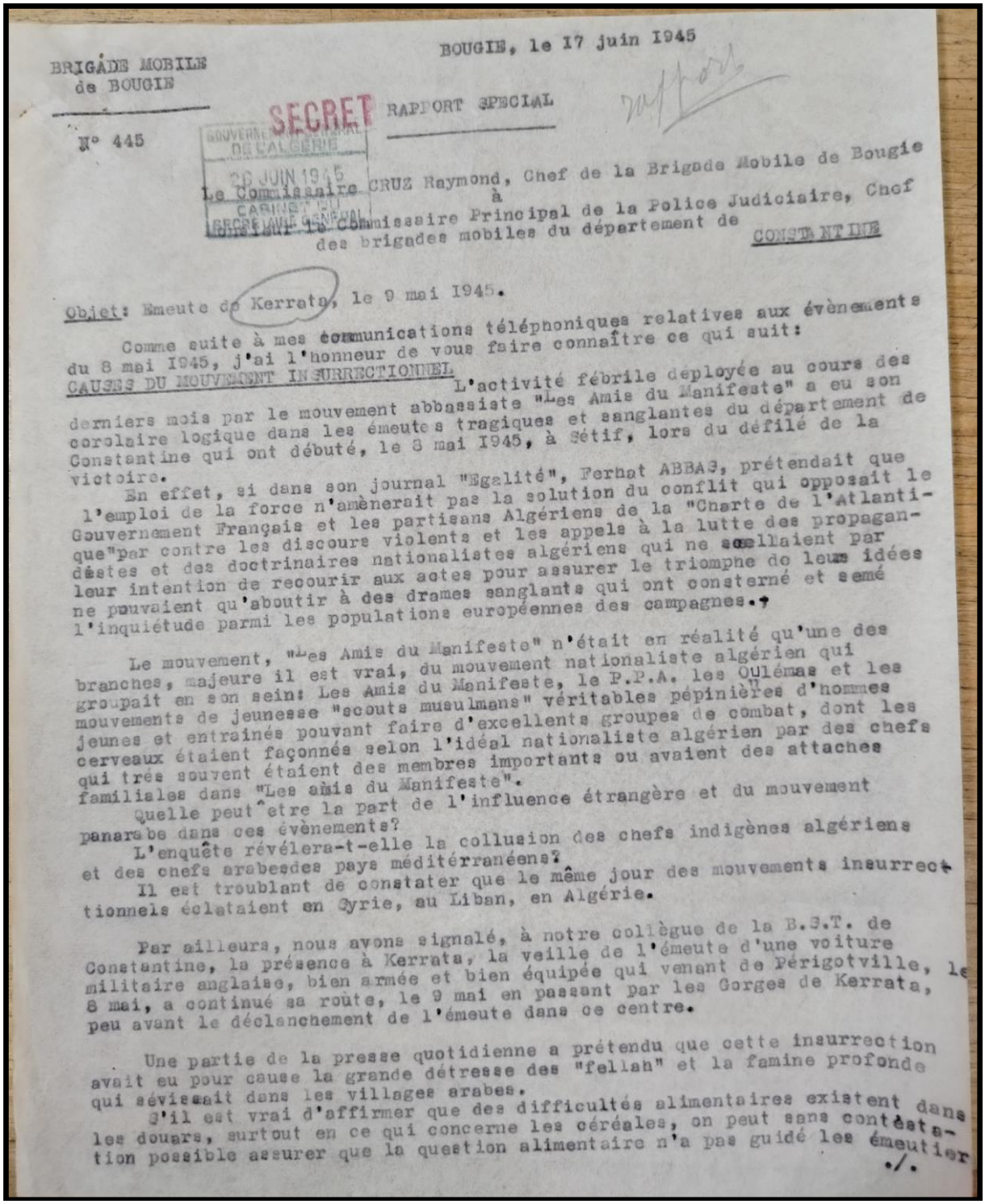

BRIGADE MOBILE
de BOUGIE

N° 445

BOUGIE, le 17 juin 1945

SECRET

RAPPORT SPECIAL

GOUVERNEMENT GENERAL DE L'ALGERIE
26 JUIN 1945
CABINET DU SECRETAIRE GENERAL

Le Commissaire CRUZ Raymond, Chef de la Brigade Mobile de Bougie
à
Monsieur le Commissaire Principal de la Police Judiciaire, Chef des brigades mobiles du département de CONSTANTINE

Objet: Emeute de Kerrata, le 9 mai 1945.

Comme suite à mes communications téléphoniques relatives aux évènements du 8 mai 1945, j'ai l'honneur de vous faire connaître ce qui suit:

CAUSES DU MOUVEMENT INSURRECTIONNEL

L'activité fébrile deployée au cours des derniers mois par le mouvement abbassiste "Les Amis du Manifeste" a eu son corolaire logique dans les émeutes tragiques et sanglantes du département de Constantine qui ont débuté, le 8 mai 1945, à Sétif, lors du défilé de la victoire.

En effet, si dans son journal "Egalité", Ferhat ABBAS, prétendait que l'emploi de la force n'amènerait pas la solution du conflit qui opposait le Gouvernement Français et les partisans Algériens de la "Charte de l'Atlantique"par contre les discours violents et les appels à la lutte des propagandistes et des doctrinaires nationalistes algériens qui ne cachaient par leur intention de recourir aux actes pour assurer le triomphe de leurs idées ne pouvaient qu'aboutir à des drames sanglants qui ont consterné et semé l'inquiétude parmi les populations européennes des campagnes.

Le mouvement, "Les Amis du Manifeste" n'était en réalité qu'une des branches, majeure il est vrai, du mouvement nationaliste algérien qui groupait en son sein: Les Amis du Manifeste, le P.P.A. les Oulémas et les mouvements de jeunesse "scouts musulmans" véritables pépinières d'hommes jeunes et entraînés pouvant faire d'excellents groupes de combat, dont les cerveaux étaient façonnés selon l'idéal nationaliste algérien par des chefs qui très souvent étaient des membres importants ou avaient des attaches familiales dans "Les amis du Manifeste".

Quelle peut être la part de l'influence étrangère et du mouvement panarabe dans ces évènements?

L'enquête révélera-t-elle la collusion des chefs indigènes algériens et des chefs arabesdes pays méditerranéens?

Il est troublant de constater que le même jour des mouvements insurrectionnels éclataient en Syrie, au Liban, en Algérie.

Par ailleurs, nous avons signalé, à notre collègue de la B.S.T. de Constantine, la présence à Kerrata, la veille de l'émeute d'une voiture militaire anglaise, bien armée et bien équipée qui venant de Périgotville, le 8 mai, a continué sa route, le 9 mai en passant par les Gorges de Kerrata, peu avant le déclanchement de l'émeute dans ce centre.

Une partie de la presse quotidienne a prétendu que cette insurrection avait eu pour cause la grande détresse des "fellah" et la famine profonde qui sévissait dans les villages arabes.

S'il est vrai d'affirmer que des difficultés alimentaires existent dans les douars, surtout en ce qui concerne les céréales, on peut sans contestation possible assurer que la question alimentaire n'a pas guidé les émeutier ./.

الصفحة الأولى من التقرير

قائمة المراجع

- المراجع باللغة العربية

- بلانش، جون لوي (2007)، **سطيف 1945 بوادر المجزرة**، دار الصبة للنشر، الجزائر.

- روبة، أسماء (2018) **السعيد عليك: ومضات من ذكريات المجاهد السعيد عليك**، مراجعة وتحقيق الأستاذ منير مجبر، دار المجدد للنشر والتوزيع، سطيف، ص. 6 – 22.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

– لوصيف سفيان (2024)، " **إخضاع سكان المناطق المنتفضة بساحل مالبو في 22 ماي 1945: صور الإذلال والقهر** "، منشور في كتاب أعمال الملتقى الدولي ' مجازر 08 ماي 1945، القمع والإبادة في ميزان القانون الدولي '، 07، 08 و09 ماي 2024، منشورات جامعة قالمة.

– **المصادر والمراجع باللغة الأجنبية**

- Rapport sur les événements de Kherrata (9 mai 1945), *17 juin* 1945, signé Cruz Raymond, Archives Direction générale de la Sûreté – Alger.

– Ahmad Djati : La révolte du mardi 8 mai 1945 à Kharreta.

– **الشهادات الحية**

– شهادة أدلى بها لحسن بخوش حول مشاركته وسجنه في أحداث 08 ماي 1945، خلال حوار مطول معه في بيته بخراطة 12 جوان 2010.

– شهادة سجلناها مع السعيد عليك يوم 7 ماي 2023، بجامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، خلال استضافته كشهاد حي على إبادة عائلته خلال مجازر 08 ماي 1945 بخراطة.

– شهادة مخطوطة بقلم الشاهد إسماعيل منصوري عن مشاركته في مظاهرات خراطة يوم 09 ماي 1945.

– شهادة أدلى بها عبد الرحمن شلوش، في لقائنا معه في جوان 2008 في عموشة، تحدث فيها عن استشهاد والده وعمليات القمع الواسعة التي حدثت.

الصحف والجرائد

– جريدة البصائر، ع 79، يوم 9 ماي 1949.

– جريدة المنار، ع 4 ماي 1951.

– جريدة الشعلة، ع 11 ماي 1950.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)